

استعراض حمال أوجه لعمرو موسى أكثر منه مذكرات

سنوات من العواصف السياسية للجامعة العربية من حكم صدام إلى سقوط القذافي



مسيرة سياسية حافلة

ليبيا بطائرات الناطق، والإصرار على الإطاحة بنظام القذافي، بالقول إن مسألة المدنيين كانت بالنسبة إلى المجتمعين "حصان طروادة لتدخلهم في ليبيا".

يخرج كل من يعمن في قراءة الكتاب - المذكرات بان عمرو موسى قدم جهدا خارقا، وكان يحارب طواحين الهواء، وأنه السياسي العربي الأبرز الذي جعل للجامعة مكانة لا تضاهي، وهو ما ينسبه لنفسه بشكل رئيسي وليس للعمل العربي المشترك، الذي يعد الأمين العام نقاجا له، في إيجابياته أو سلبياته.

وبما أن العمل العربي المشترك خلال سنوات موسى، وما بعدها، لم يكن على إرام إطلاقا، فأتعجب من أين أتى بالحديث الذي اختتم به شهادته، وفيه أشار إلى أن الجامعة وصلت إلى درجة من الاعتراف الدولي بما لم تصل إليها من قبل.

عمرو موسى والفريق المعاون له بذلوا جهدا كبيرا في الشكل والتوثيق، ليضفي المزيد من المصداقية على مضمون شهادته

من شدة ثقته المفرطة واعتزازه بنفسه لحد الغرور، قال "كان ممكنا لي في هذا المحفل (قمة الدول الثماني) بصفتي الأمين العام للجامعة العربية أن أجلس على مائدة تضم مجلس إدارة العالم، وأتمكن من الحديث المباشر مع أي منهم في أي أمر يخص العالم العربي".

إذا كان عمرو موسى بهذه القوة المعنوية الجبارة والصرامة السياسية الفذة، لماذا لم يتمكن من تحقيق إنجاز لامت في أي من التطورات والأزمات التي انفجرت في عهده، في العراق وليبنان والسودان وفلسطين، وغيرها، الإجابة التي يعثر عليها القارئ، تقول إنه فعل كل شيء لإنقاذ العرب، لكنه لم ينجح شيئا.

سوف تظل مذكرات عمرو موسى نوعا من الشهادات المنقحة التي أسرفت في التبرئة والتفسير أكثر من تقديم رؤية سياسية لعصر متلاطم، كان مقدمة لما وصلت إليه الجامعة العربية من تدهور، وأثبت أن شخصية الأمين العام مهما كانت كاريزميتها لن تستطيع تغيير الدفة بمفردها، فالجامعة حصلت ضرب الدول الأعضاء، وليس حاصل جمع مؤهلات من يقودها مؤسساتيا.

أشار موقف الجامعة العربية نصا إلى "الطلب من مجلس الأمن تحمل مسؤولياته إزاء تدهور الأوضاع في ليبيا، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بفرض منطقة حظر جوي على حركة الطيران العسكري الليبي فوراً، وإقامة مناطق آمنة في الأماكن المعرضة للصف، كإجراءات وقائية تسمح بتوفير الحماية لأبناء الشعب الليبي، والمقيمين في ليبيا من مختلف الجنسيات، مع مراعاة السيادة والسلامة الإقليمية لدول الجوار".

يبدو النص يحمل الكثير من الوجوه والتفسيرات، أو بمعنى أدق غير مقنع، وبدلاً من أن تتحمل الدول العربية التي صاغته المسؤولية، تحملها عمرو موسى وحده، فقد ألح الرجل في ثانياً شهادته إلى ما يشبه المؤامرة الكونية عليه في هذه القضية، كي لا يكون بعيداً عن ضرب ليبيا، والتي تاهت معها الكلمات التي نقلها عن وزراء الخارجية العرب، والشهادات التي حشدتها لندوب ليبيا في الأمم المتحدة عبدالرحمن شلقم.

احتل الجزء الليبي مساحة من التفسير والتبرير والتكرار، مقارنة بغيره، وهذا مفهوم في ظل السياقات المختلفة التي جاء فيها ذكر موسى كـ"مذبذب" في حق ليبيا، وهو ما نفاه بكل السبل، إلى الدرجة التي استنعت فيها بأجزاء من مذكرات وزيرة الخارجية الأميركية سابقاً هيلاري كلينتون، حيث اقتبس منها ما يفيد أن هناك مؤامرة لضرب ليبيا، وتدمير مقدرات الشعب.

ولفت إلى أن بعض الدول العربية أبدت استعداداً للانضمام لأي جهد عسكري عربي (أوروبي) لتأكيد الحظر الجوي الذي أمر به مجلس الأمن في قراره رقم 1973، ووجد عمرو موسى في العبارة التي حوّاها القرار "اتخاذ التدابير اللازمة لحماية المدنيين" بمثابة القنبلة التي فحخت قرار مجلس الأمن، وأدت إلى التدخل العسكري في ليبيا، وبالتالي الانحراف عن النوايا الحسنة للمطالبة العربية بحظر الطيران.

إمعاناً في البراءة، قال موسى "لم يتم أي تنسيق مع الأمين العام للجامعة العربية، حيث رفض أن يجلس في أي محفل تشيقي بعدما اكتشف الخديعة.. وأن الجامعة لم تطلب حماية المدنيين من طيران القذافي ليتعرضوا لهجمات العربية من تدهور، وأثبت أن شخصية الأمين العام مهما كانت كاريزميتها لن تستطيع تغيير الدفة بمفردها، فالجامعة حصلت ضرب الدول الأعضاء، وليس حاصل جمع مؤهلات من يقودها مؤسساتيا.

أي من القضايا الحيوية التي مر ويمر بها العالم العربي.

لا أحد يقلل من قيمة عمرو موسى كسياسي بارع وله تاريخ حافل، ولا أحد يستطيع التشكيك في تكوينه العربي المثين، غير أن المشكلة التي لم تبارحها في المذكرات والمواقف، أنه عندما يأتي ذكر الأزمة الليبية، يتحسس رأسه، كان به جرحاً، فقد لازمه الاتهام بأنه تواطأ لتسهيل عملية ضرب حلف الناتو وإسقاط نظام العقيد معمر القذافي.

وقفة تأمل مع ليبيا

حكى الرجل الكثير من القصص والأحداث في الفصل الخامس عشر، بعنوان "أسرار القرارات العربية لحماية الشعب الليبي"، ليقدّم شهادة يعتبرها موثقة على أنه بريء من دم الشعب الذي أريق، ولا يزال يراق، وبدت سرديته مقنعة لكل ذي عينين، وهو ما ظهر في حرصه على استخدام كلمة أسرار في الجزء الليبي، مع أنه تحدث مراراً حول دوره، وفي كل مرة أخفق في إزالة الصورة الذهنية السلبية التي الصقت به.

تعامل الأمين العام مع الفصل الخامس عشر بحساسية شديدة لثبته ساحتها، ومحاولة إزالة أي التباس، فلا شيء يبقى له بعد ذلك إذا فشلت مذكراته في تقديمه بالصورة التي يريدها بالنسبة إلى الأزمة الليبية، وتجلي ما يراه غيباً لمسيرته الطويلة. في الصفحة 423 بدأ يقترب من تفاصيل الاجتماع الوزاري الطارئ لمجلس الجامعة العربية في 12 مارس 2011، قائلاً "يجب أن أنقل للقارئ عموماً، وللشعب الليبي الشقيق باجباله الحالية والقادمة، ما جرى من واقع النصوص الحرفية لمحاضر جلساته من دون تدخل أو محاولة تفسير أو تحليل، واقتبس فقرات تعبر بجلاء عن موقف الدول العربية الأعضاء".

أفرد في تبرة ساحتها بكل وسيلة من تهمة لم تبارحها، على الرغم من النفي والتبرير والتوضيح المتكرر، خاصة بالنسبة إلى موضوع فرض حظر جوي، والذي أثار جدلاً كبيراً، لأن المطالبة به جاءت من قبله، وحث الجامعة على إصدار قرار من مجلس الأمن، بذريعة الحلوة دون قيام القذافي بضرب المتظاهرين.

يقدم نفسه بأنه هنري كيسنجر العرب، الذي تقاعد منذ فترة طويلة وبقيت إسهاماته السياسية حاضرة، وهذا ساد انطباع لدى الكثيرين، وبصرف النظر عن الاتفاق والاختلاف والقدرة والإمكانات والأدوار، فإن وزير خارجية مصر الأسبق يبدو مغرماً بهذا التشبيه، وإن لم يعلنه أو يرفضه، حيث يضعه في مصاف السياسيين في العالم.

والفرق بينهما أن إسهامات كيسنجر تجاوزت حدود المذكرات والشهادات على الأحداث التي عاصرها وشارك فيها بالفعل، إلى مستوى رفيع من التفسير الذي لم ينضب، ما يحاول موسى تقديمه في الحوارات والتصريحات التي يدلي بها، لكنه لم يقدم مرجعاً حتى الآن في

قوته، ويحاول علاج نقاط ضعفه. كنت أتخيل أن يكون عمرو موسى، صاحب الكاريزما السياسية، جريئاً بما يكفي ليفسر الأسباب التي جعلت الجامعة بطة عرجاء خلال فترة رئاسته، قد يتلمس القارئ الحضيف بعضها ويعلم وتفصيلها، لكن أن تأتي منه سيحسب له وجرأته الظاهرة، لأن الاكتفاء بوصف ما جرى ليس كافياً، فالتشخيص الصحيح جزء مهم لعلاج

الداء.

تعدى عمرو موسى في إحساسه العالي بالذات وتورمها أحياناً، وهي صفة معروفة عنه، فهو السياسي البارع والمنظر الذي لا يشق له غبار، وقال "فخور بتلك السنوات السمان في أداء الجامعة، ولو قدر لها استثمار المبادرات لحققت طفرة في النظام العربي والتحرك القومي"، وحتى الثورات والاحتجاجات التي انطلقت

في نهاية عام 2010، وبداية عام 2011، قال إنه حذر منها، مع أن هذه الثورات هي التي مهدت الطريق ليكون مرشحاً رئيسياً في مصر.

نوه في مقدمة كتابه "سنوات الجامعة العربية"، أن الجزء الثالث من المذكرات سوف يتناول فيه الثورات العربية، ويركز على الفترة التي كان حاضراً فيها على المسرح السياسي المصري (2011 - 2014)، والتي ترشح فيها لرئاسة الجمهورية وحل فيها ثالثاً، ولا أعلم ماذا سيكتب عن هذه الفترة بعد أن انجلت الكثير من الأمور.

عندما صدر الجزء الأول من مذكراته "كتابيه"، بدا كمن

مذكرات عمرو موسى في جزئها الثاني، تظهر أن الأمين العام للجامعة العربية يركز على رؤيته إلى الأحداث ودوره فيها أكثر من رواية ما جرى كما هو، ما حولها إلى نوع من السيرة الذاتية يتمركز حول الكاتب وليس حول الحقائق التي يفترض أن تسردها المذكرات بنوع من الحياد.

وهي نفسها التي تكاد تكون لازمتها في غالبية الأزمات التي انخرط فيها عن قرب أو عن بعد، وهو ما تكشفه المذكرات عندما يأتي الحديث عن الأزمات العربية التي عاصرها. حرص موسى، بمساعدة محرر المذكرات الصحافي المصري خالد أبو بكر، على الإشارة إلى أنه يعرض ما جرى كما جرى، ونسي أن يضيف إليها جملة مهمة "من وجهة نظره"، لأن التقويم السياسي للكثير من الأحداث يختلف من شخص إلى آخر.

ويظل ما خطه الأمين العام للجامعة العربية، في النهاية حمال أوجه حتى لو كان الرجل حشد مجموعة كبيرة من الشهادات والبيانات والقصص والروابط الإلكترونية والوثائق لتعزيز رؤيته، فهناك من يستطيعون تقديم أكثر منها، وهذا ليس تشكيكاً في المذكرات، لكنه توصيف لواقع مغرم بالأشكال والألوان.

قدم عمرو موسى في 19 فصلاً، سردية سياسية مهمة في ظل قلة السرديات عن الفترة التي شغلها في الجامعة العربية (2001-2011)، وهذا يحسب له، لكن ما يؤخذ عليه أنه تعامل مع هذا الكيان كأنه مؤسسة قادرة على ضبط السلوك العربي، وفي الوقت الذي يعلم الجميع أنها تعاني من مشكلات هيكلية، منحها موسى صك القداسة والبراءة خلال فترة رئاسته.

قدم كلمات تشي بانها كيان عملاق مثل الاتحاد الأوروبي، حيث ذكر أن الجامعة خلال فترة رئاسته، "ضبطت أدبيات وفعاليات العمل العربي المشترك، وصاغت مواقف العرب السياسية بعد دخول العالم مرحلة السيطرة الأميركية المنفرة، وصاغت هذه المواقف سواء ما تعلق بالقضية الفلسطينية أو إقامة منطقة منزوعة السلاح النووي في الشرق الأوسط، أو الموقف من إيران وتركيا".

حاولت العثور على اعتراف بفشله بوضوح في أي من الأزمات التي انخرط فيها فلم أجد، والأدهى أنه قال، إن العمل العربي المشترك، والجامعة العربية تمثل قاعدته المتينة، لم يكن قط فاشلاً، كما لم يكن ناجحاً بالدرجة التي تمنّاها وتطلع إليها، مشيراً إلى أنه "قدم الكثير"، والجامعة خلال فترة رئاسته لم تكن كياناً "هشاً"، كانت شريكاً "قويماً"، يعلم بالضبط نقاط قوته، ويحاول علاج نقاط ضعفه.

كنت أتخيل أن يكون عمرو موسى، صاحب الكاريزما السياسية، جريئاً بما يكفي ليفسر الأسباب التي جعلت الجامعة بطة عرجاء خلال فترة رئاسته، قد يتلمس القارئ الحضيف بعضها ويعلم وتفصيلها، لكن أن تأتي منه سيحسب له وجرأته الظاهرة، لأن الاكتفاء بوصف ما جرى ليس كافياً، فالتشخيص الصحيح جزء مهم لعلاج

الداء.

تعدى عمرو موسى في إحساسه العالي بالذات وتورمها أحياناً، وهي صفة معروفة عنه، فهو السياسي البارع والمنظر الذي لا يشق له غبار، وقال "فخور بتلك السنوات السمان في أداء الجامعة، ولو قدر لها استثمار المبادرات لحققت طفرة في النظام العربي والتحرك القومي"، وحتى الثورات والاحتجاجات التي انطلقت في نهاية عام 2010، وبداية عام 2011، قال إنه حذر منها، مع أن هذه الثورات هي التي مهدت الطريق ليكون مرشحاً رئيسياً في مصر.

نوه في مقدمة كتابه "سنوات الجامعة العربية"، أن الجزء الثالث من المذكرات سوف يتناول فيه الثورات العربية، ويركز على الفترة التي كان حاضراً فيها على المسرح السياسي المصري (2011 - 2014)، والتي ترشح فيها لرئاسة الجمهورية وحل فيها ثالثاً، ولا أعلم ماذا سيكتب عن هذه الفترة بعد أن انجلت الكثير من الأمور.

عندما صدر الجزء الأول من مذكراته "كتابيه"، بدا كمن

محمد أبو الفضل
كاتب مصري



انتظر كثيرين قيام الأمين العام لجامعة الدول العربية الأسبق عمرو موسى، تسجيل تجربته حول السنوات العشر التي أمضاها على رأس كيان يجمع كل الدول العربية تحت مظلة وهي سنوات عاصفة وحافلة بالتطورات، ومليئة بالأحداث المفصليّة التي كان موسى شاهداً عليها، وسبباً في ما وصلت إليه الجامعة من تحديات صعبة. أصدرت دار الشروق المصرية، الجزء الثاني من مذكرات عمرو موسى قبل أيام، بعنوان "سنوات الجامعة العربية"، بعد أن نشرت الجزء الأول منذ ثلاث سنوات بعنوان "كتابيه"، ورصد فيه موسى رحلته من الميلاد وحتى ترك عمله كوزير لخارجية مصر، وأثار جملة من ردود الفعل في حينه، بعضها انتصفي، والبعض جاء في غير صالحه، وفي الحالتين كانت لها قيمة في كشف جوانب من تفكير الرجل.

يبدو للوهلة الأولى في الجزء الثاني من مذكرات عمرو موسى أنه -والفرق بينه وبين معاون له- بذل جهداً كبيراً في الشكل والتوثيق ليضفي المزيد من المصداقية على مضمون شهادته، لكنه من حيث أراد تأكيد هذه الميزة ارتكب خطأ عزز انطباعات الكثيرين حوله بشأن غرامه الكبير بالاستعراض السياسي، وهي نقطة تؤخذ عليه ولا تحسب له، فكان يكفيه الإدلاء بشهادته كقائمة كبيرة، طالما أنه وافق في نفسه، وعلى من يشككون فيها مواجهته أو الحوار مع المصادر المعاصرة.

مذكرات عمرو موسى تظل نوعاً من الشهادات المنقحة التي أسرفت في التبرئة والتفسير أكثر من تقديم رؤية سياسية لعصر متلاطم

ربما أراد موسى أن يختصر المسافات على القارئ وتسهيل مهمته، وربما أن القضايا التي يتحدث فيها مفيرة وحساسة وتهتم دولا وزعامات وقامت كبيرة، وربما وربما.. المهم أنه طوال 575 صفحة من السرد والشهادات والوثائق والصور، يلزم القارئ الشعور بأن عليه التسليم بقيمة صاحب المذكرات كافيلاً سياسي، وأنه نزيه بما يكفي، وعروبي أكثر من غير، وحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وفشل بدرجات متفاوتة.

ولجا عمرو موسى إلى إصدار شهادته، وهو على قيد الحياة (منعه) الله بالصحة والعافية) ليوكد شجاعته، وهي الصفة التي كان حريصاً على أن يبرزها بين السطور وفي ثانياً مواقف كثيرة، فهو أول من تحدث بصراحة نادرة مع الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، قبل حدوث الغزو الأميركي في مارس 2003، ويكاد يكون تحصل منه على "شيك سياسي على بياض"، لينحدر باسمه مع سكرتير عام الأمم المتحدة الأسبق كوفي عنان. وأوحى أنه وقف في مواجهة قوى دولية مختلفة لمنع انحراف الأزمات العربية، وفي المرات القليلة التي توقف فيها عند بعض الزعامات والقامات العربية، مثل الراحل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والراحل السعودي الراحل الملك عبدالله بن عبدالعزيز، والرئيس الراحل حسني مبارك، كانت ظلالاً موسى حاضرة أيضاً، باعتباره الأمين الأول على العمل العربي المشترك.

شهادات من قلب الحياة

المثير أن عمرو موسى قص جوانب عديدة من جولاته المكوكية في الأزمة العراقية في ذلك الوقت، وقام بمحاولات مضنية على حد وصفه، مع ذلك جرى الغزو وتدمير مقدرات العراق، باعتبار أن النية كانت لدى واشنطن قوية،

